بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين،

سيدنا العزيز / السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد قرأت هذا المقال المنشور على اللوحة مرات عديدة، وبالفعل فتح لي أبواباً من العلم والتفكر لمزيد من الثبات والرسوخ في عظمة الأمر.....

سيدنا العزيز – حفظكم الله – ، بقيت في بالي أسئلة حول ما جاء في المقال أطرحها لمزيد من العلم – إن شاء الله تعالى – وجزاكم الله خير الجزاء:

١– قولكم: « وليس له مفهوم محدد يشترك الجميع في فهمه ومن ثم قصده، بل ولا عدد من الناس إلا نادراً... ، أو صدفة، أو باستضعاف أحد لفئة والإملاء عليها بنمط خاص من النظر إلى أشياء والتعامل معها » . لم أفهم: أو صدفة، أو باستضعاف أحد لفئة؟ كيف؟ ٠

٢– قولكم : « بالرغم من أن هذا قد بُني عليه الدين (التشيع) وكاد أن يكون بديهيا لم يعد يركّز عليه أو يهتم به منذ مدة طويلة » . أجد أن هذا مركّز عليه جداً بصور مختلفة، فماذا قصدتم سيدنا في هذه الفقرة؟ ٠

٣– قولكم: « وإلا فلا يوجد الآن ما يهدي أفهام الناس ويلم شعثهم، ويجمع شملهم ومنتشر أمورهم وأهواءهم المتفرقة بلا إكراه وضغط وإلجاء مباشر أو غير مباشر٠٠ » لم أفهم الفقرة ٠

٤– قولكم: « أن الإيمان لا يكون إلا بإمام من الله، أي بأن يكون الإمام المنصوب من الله إماما فعليا للعبد، فإذا كان كذلك فالإمام هو الذي يؤم حياته كله بما منها فكره وأحاسيسه وبصورة غير مباشرة » وقولكم: « فما لم يكن للإنسان مولّى فِعليّ من الله ضلّ وضلّ فكره » السؤال هل قصدتم هنا حصراً الإمام المنصوب من الله وكيف (مولى فِعلي) أي موجود بين الناس الآن؟ ٠

٥– قولكم : « أجل ما أعلمه أنا هو أن الاختلاف الديني الموجود ليس نتاج غموض النصوص الدينية بمقدار ما هو متأثر بأمور أخرى – على سبيل مانعة الخلو– منها مثلا: الإهمال واللامبالاة من جهة والتعصب من جهة أخرى٠٠٠ » أتى في بالي أن هناك أناس غير متعصبين ومهتمين ولكن الاختلاف بينهم موجود.. فأحببت أن أعرف (ما هو متأثر بأمور أخرى) ..

٠٠٠٠٠٠٠٠٠

١٤ / شعبان المعظم / ١٤٢٤ هـ

١٠ / ١٠ / ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

إجابة على الأسئلة

العزيز (....)

السلام عليكم ورحمة الله

وجدت مقطعا من كلامك مديحا لم أرني مستحقا له ولم أحبه فحذفته، فإليك جواب أسئلتك، ولكن قبل ذلك عليّ أن أنبهك إلى أن الإجابة الكاملة على أسئلتك غير ميسورة لأسباب، منها: أن هذا النوع من المسائل ليس مما يمكن تحديده، فإن ذلك لا يتم إلا بتفصيله، وتفصيله يؤدي إلى فتح منافذ تطل على مسائل جديدة هي الأخرى بحاجة إلى التوضيح والتحديد، وهكذا...، وأن الغرض منها لا يتأدى إلا بأن يقوم القارئ (أو السامع) بنفسه بالتفكير فيها وتنميتها، وأن عرض تفاصيلها على لوحة عامة يعرضها للابتذال

ذكرت هذا لما بدا لي أنك بشكل عام تريد التفصيل والتحديد لما جاء في المقال...، وعلى أي حال فإني أحاول توضيح مسائلك قدر الإمكان:

١- لا ينبغي الشك في أن آل محمد عليهم السلام متفقون في الرغبة إلى فرج محدد وبطريقة معينة، كما لا يخفى على عاقل أن الناس يختلفون في الفرج الذي ينتظرونه، فما يراه أحدهم فرجا له لا يراه غيره فرجا لنفسه، باستثناء من عرف آل محمد عليهم السلام ووثق بهم واتبعهم ووجد فيهم ميوله وآماله، فكان نظره إلى الفرج كنظرهم وأمنيته كأمنيتهم، ولا يخفى أن هذا النمط من المؤمنين قليلون وغرباء كما في رواية التمار المذكورة في الكافي (٢/ ٢٤٢)، وهذا ما قصدته بـ[النادر]

وأما الاشتراك في الفرج صدفة فهو أن يعاني عدد من الناس من مشكلة معينة، وأن يشتركوا في النظر إلى المخرج منها وتمنيه والتعاون لإيجاده... ، ولا أظن هذا خافيا

الاستضعاف

وأما الاشتراك في النظر إلى الفرج بالاستضعاف فهو أن يقوم شخص بالإيحاء إلى أناس مشكلة معينة وبتضخيمها في نفوسهم ليعانوا منها، فلولا ذلك الشخص وإملاؤه لم يحسوا بها، ثم بأن يملي عليهم رؤيته الشخصية في الخروج من تلك المشكلة، فتأثرا به شارك عدد قليل أو كثير من الناس في الإحساس بالشدة كما أوحي إليهم، وفي السعي إلى المخرج منها بالطريقة التي أُمليَتْ عليهم، وذلك كما يفعله المشعوذون مثلا، بل هي الطريقة الشائعة جدا، فإن جُلّ ما يعاني منه الناس ليس مشاكل حقيقية، بل أمور أوحاها أناس إليهم لسبب أو آخر...

وقد يعاني عدد قليل أو كثير من الناس بأنفسهم من مشكلة (أو مشاكل) معينة متشابهة كالفقر أو الظلم مثلا فيتطلعون إلى الخلاص منها، فيدعي أحد - مخلصا أو مستغلا - أن عملا معينا هو المخرج من تلك المشاكل، ويقوم بترويج ذلك وحث الناس عليه، فيتأثرون به...، وهذا كذلك منتشر جدا، ومن أمثلته البارزة كثير من الثورات، ومن أمثلته أيضا الاكتشافات العلمية التي رُوّجت مفتاحا لحل جميع مشاكل الإنسان، فتلقاها الناس بالتصديق والتصفيق، وما زالوا كذلك رغم ما ظهر بالتدريج أنها لا فقط لم تنجده بل زادته مشاكل...

وعبّرتُ عن هذا بالاستضعاف لأن الإنسان قد خُلق محبا لأن يبصر دربه بنفسه وأن يمشي سويا على صراط مستقيم، وقد مُكّن من ذلك إذا أتاه من بابه، فمن لم يستعمل تأثيره على الناس في تبصيرهم وإعانتهم ليقفوا على أقدامهم فإنه لابد وأن يثبطهم عن تحقيق تطلعاتهم الفطرية ويسلبهم إمكانياتهم الطبيعية، فيقومون بالاتكال عليه ويتخذونه وكيلا في التفكير وفي القرار، فهو بهذا قد استضعفهم، أي قام بما يجعلهم ضعفاء بدلا من أن يجعلهم أقوياء واقفين على أقدامهم، وإن لم يقصد ذلك، إذ لا تأثير للقصد في حصول هذا الأثر (الاستضعاف)، فكما أن الاستضعاف يحصل بعمل من يسعى إلى تحقيق مآربه على حساب الناس، قد يتحقق أيضا بعمل من يستهدف خدمة الناس، بل وحتى ببعض السعي المخلص لجعل الناس متدينين أو أكثر تدينا، ولا يخفى امتلاء العالم بالاستضعاف المقصود وغير المقصود، ولا ينجو منه أحد إلا باتباع النبي (ص) عبر الأئمة عليهم السلام...

٢- نظريا من المعروف جدا بالإجمال أن أساس التشيع هو الولاية، وأن كل ما يقوم به الإنسان من عمل أو نشاط كان باطلا إلا أن يكون بدلالة ولي الله كما في صحيحة زرارة التي رواها الكافي (٢/ ١٩) مثلا. والذي لا ينبغي الشك فيه في هذا الصدد أن العمل يشمل - فيما يشمل - الفكر، فإذا لم يكن للمرء ولي من الله يفكر بدلالته ضل فكره وكان كرماد اشتدت به

الريح في يوم عاصف لا يقدر صاحبه مما كسب على شيء، كما أشارت إليه صحيحة محمد بن مسلم المروية في الكافي (١/ ١٨٤) وكما هو مجرب وملاحظ جدا، فهو لذلك بديهي أو كاد -على الأقل- ، ولا يضر ذلك غفلة الناس عنه...

وأما أن هذا لا يركز عليه أو يهتم به فهو مما ينبغي أن لا يخفى على المهتم بهذه المشكلة، حيث من الملاحظ أن الشيعة كغيرهم لا يعتمدون الولاية ميزانا وضابطا للفكر...، وهذا بلاء قديم مزمن، ولا حول ولا قوة إلا بالله

٣- العبارة متأثرة بما ذكر في بعض الأدعية المأثورة، وقصدت منها أن المسلمين مختلفون الآن، وكثير من الخلاف إنما هو بسبب اختلاف الأفهام، وسبب اختلاف الأفهام هو عدم وجود قانون يُعرف به الفهم الصحيح ويُضبط، ولو كان هناك ما يضبط الفهم ويهديه اجتمع شمل المخلصين من المسلمين وزالت فرقتهم وعُرفت الأهواء وانفضحت فأمكن اجتنابها وقل تأثيرها على الأفهام...

وقصدت بـ[ما يهدي أفهام الناس] الولاية فإنها الباب الوحيدة للهدى، وأما أنها غير موجودة الآن فلأنها ليست قائمة، ولا منظورة بصورتها القائمة إلا من قليل من المؤمنين الذين وإن افتقدوا قيامها الفعلي لم يفُتْهُم الانتفاع بها كالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، بتفصيل طويل متشعب...

وأما قولي: « بلا إكراه وضغط... » فتوضيحه أن محاولة هداية الأفهام منتشرة جدا يقوم بها جميع المفكرين، فبالرغم من أن أكثريتهم الساحقة يعترفون نظريا بقانون معروف لتصحيح الأفهام، لكنهم بدلا من الاعتماد عليه والاكتفاء بصياغة آرائهم وبلورتها وِفْقَه يلجأون في إقناع القارئ (أو المستمع) بها إلى إمكانياتهم الشخصية، ويستعملون أساليب مختلفة للضغط على ذهنه والتأثير في فهمه، فقد يحاول أحدهم أن يفرض فهما معينا على شخص أو أشخاص بالضغط المباشر كالترهيب مثلا، ولكن أكثرهم يستخدمون أساليب تؤدي إلى إجبار القارئ (أو المستمع) إلى تقليدهم في الفهم بلا أن يحس بذلك، وهذا منتشر جدا كما لا يخفى على عاقل

وهذا يختلف عن ولاية أولياء الله عليهم السلام فإنها بدلا من أن تفرض على الإنسان رأيا معينا وتمليه عليه تقوم بتحريره وهدايته ليفكر ويفهم ويختار ويتدين بنفسه حسب فطرته بلا أي إكراه أو تأثير غير ما يحميه ويصونه من التأثر بمؤثرات ضارة، وبالأحرى غير التأثير الذي يحتاجه المتأثر لأن يكون حرا، ومما تفعله لتمكينه من ممارسة حريته أن تشعره بالرعاية المتمثلة في الشفاعة مثلا، بشرح ليس هنا مجاله، ولا أدعي استيعابه فإنه ذو شجون كثيرة متداخلة متشابكة

جـدا لا يمكـن فصل بعضهـا عن بعض بصـورة تامة ووصف كلٍّ بمعـزل عن غيره

٤- قصـدت بالإمـام الفعلي: من اتخذه الإنسـان إمامـا يتبعه فعلا، لا مـن اكتفى بالاعتراف الذهنـي بإمامتـه كما هو الشـائع، وكذلـك قصدت بالمولى الفعلي مـن يتولاه الإنسـان حقيقة، لا من يـراه نظريا مولى

إن الإمـام (والمـولى) الذي لا يكون الإيـمان إلا به منحصر فيمن نصبـه الله عز وجل، وكونه عليه السلام إماما ومولى فعليا لأناس لا يستلزم وجوده بينهم أي حضوره معهم، بل يكفي حضور ولايته بصورة تُمكّنهم من استشـعارها ومن الاسـتناد والركون إليه عليه السـلام واتخاذه مولى

وبهـذا كان النبـي (ص) مولى فعليـا للمؤمنين الذين عاصروه رغم أنه لم يكن حاضرا بنفسـه الشريفـة مـع جميعهـم، ومـا جعلـه (ص) مـولى للغائبـين كونـه معروفا لهـم بالصورة التـي أرضت تطلعاتهـم مـن جهـة، ومـن جهة أخرى أن كان معهم من يشـير إلـيـه (ص) ويجسـد ولايتـه، إذ لم يخـلُ مجتمـع من بعض مـن قد عرفوا النبي وسـنته بدرجة أو أخـرى وقاموا باتباعهـا، فلابد إذن أن لمس فيه المؤمنون ما أشـار إلى ولايته (ص) وسـنته التي كانت نفوسـهم ترغب فيها ولا تسـتقر من دونها، فكان وجوده (ص) يرضي ويهدي تطلّع نفوسـهم الفطري إلى نبي، وكان تلمسـهم لمؤشرات سـنّته (ص) من خلال من جسّـدها ومارس ولايته على الأشـياء في اتجاه ولايته (ص) يرضي تطلع نفوسـهم الفطـري إلى سـنته وولايته (ص)، وكان معايشـتهم لهذا النمط مـن المؤمنين تقضي وتهدي حاجتهـم الفطرية إلى الأنس، وهكـذا أمور أخرى.

كذلـك كان النبـي بامتداداتـه يرضي جميع تطلعات الإنسـان الفطرية ويمنـع ظهور أي تطلع متطفـل خـادع، فيجد فيـه (ص) طالب الأمن والأمـان رغبته فكان مـن المؤمنين به

وكذلـك الأئمـة عليهـم السـلام، فكثير مـن المؤمنـين الذين عـاصروا الإمام الصـادق عليه السـلام مثلا لم يكونـوا يلتقون به، وإنما كانوا يتولونه من خلال المؤمنـين الذين كانوا مظاهر لإمامته وولايتـه، كـما أنه (ع) بـدوره كان يمثل النبـي (ص) من خلال آبائه عليهم السـلام...

وكذلـك الآن يكفـي للإيمان حضـور ولاية القائـم المؤمل (عـج) المتبلورة مـن خلال دعوة الأئمـة عليهم السـلام المتواصلة عبر ظـروف مختلفة مختزلة لجميع العصـور، والتي لابد أن يكون في كل زمان من يعلَمُها ويجسـدها ويدعو إليها وإن بتقية متأسـيةٍ بسـيرة الأئمة عليهم السلام والتي لا تخفـى على المؤمن بها، ولا يكون الشـخص مؤمنـا بهـا إلا أن يكون عالما بهـا وبمواردها...، ولا يخفـى أن هذا مجال واسـع تتداخل وتتشـابك فيه كثير مـن الأمور، فأتمنى أن لا تضره هذه الإشـارة الناقصة جدا

٥- مـا ذكرتَـه صحيح، فليـس الاختلاف في التعامـل مع النصوص مقتصرا عـلى اللامبالين والمتعصبـين، فهناك أناس مهتمون وغير متعصبـين لكنهم رغم ذلك يختلفون في فهم النصوص، ولم أذكرهما إلا كمثالين للعوامل المؤثرة في الاختلاف على سـبيل مانعة الخلو، أي ما لا يخلو الاختلاف منه، وإن احتمل اجتـماع أكثر من عامل

ولا يمكننـي بيـان عوامـل الاختلاف الأخـرى، كما أنه ليس مجـال ذلك لوحـة عامة، لكني أشـير إلى أهمهـا وهـو أن الإنسـان بطبيعته غير قادر عـلى الاكتفـاء بالنصوص الراجعـة إلى العقيدة، فهـو لا فقـط لا يسـتطيع الاعتقاد بها بل وأيضا لا يسـتطيع التأكد الكامل مـن فهمها، لا لغموضها أو عدم قابليتها للفهم، بل لخصوصية في خلقة الإنسـان تمنعه عن ذلك إلا أن يكون له مولى يسـتند إليـه في العلـم بتلـك النصـوص، ولذلك جعل الله للنـاس أئمة وقَـرَنَ القرآن بهم، فمعهـم كان بيّنا ونـورا، ومـن دونهم كان حمـالا ذا وجوه كما هو مجرب ومشـهود

وليس هذا خاصا بالنصوص الدينية، بل يشـمل أيضا جميع النصوص العقائدية...، فما يجمع النـاس عـلى فهـم واحد هـي الولاية، فـإذا كانت صالحة أمّنـت العباد بإرضـاء متطلباتهـم الفطرية، وحثتهـم عـلى التفكير وأعانتهم فقدروا عليه مـن دون خوف وقلق واسـتنفار، ففهموا الدين بنفس طريقـة المولى وإن اختلفت درجة فهمهم مع درجة فهمه عليه السـلام، كما اختلفت درجات فهمهم فيـما بينهـم، ولا ضير في ذلك، بل هـو ضروري لتحقق الصلاح والهدى

وإذا كانـت الولايـة غـير صالحـة جمعـت كذلـك أتباعهـا على فهـم واحـد ولكـن لا بتوفير الأرضيـة لفهمهـم وبإعانتهم عليه، بل بالسـيطرة عليه وتوجيهه وجهة معينة. ومما تقوم بـه الولاية غـير الصالحـة في هـذا الصدد أنهـا تعتمد على الشـهوات مقياسـا للتفكـير وقائدة له فتقـوم بدعمها وترويجها لتترسـخ في النفوس وتصبح مما لا يخضع لأي تسـاؤل أو يتطرق إليه شـك، خلافا للولاية الصالحة المتجسـدة في الأئمة عليهم السـلام حيث تعتمد في هداية الأفـكار على واقع الفطرة، أي ما هو فطري، فتذكر الإنسـان به وتهديه إلى ما يخلصه من الشـوائب، وتسـاعده عـلى تنميتها وتقويتها، وتقـوم بحمايتـه، فهنالك يهتدي الإنسـان ويهتدي فكره وينسـاب فهمه ويصب في مسـار فهم إمامه وأفهـام إخوانـه محتفظا على خصائصه الشـخصية...، وقـد أشرت إلى هذا في فقرة سـابقة أيضا...

محمد علي باقري

٢١/ شعبان المعظم/ ١٤٢٤